

لعرفوا أنهم، ما كان يجب ان يستمسكوا بهذه القوانين الصارمة، فليست الأساليب العربية قوالب جامدة، تصب فيها الكلمات، وتوضع على غرارها الأساليب، لأن الأساليب العربية كما قلت مرتبطة بالموقف، مرتبطة بالهدف، مرتبطة بالمقام، ولكل مقام مقال.

لننظر ماذا يقول علماء البلاغة في إن الشرطية هذه التي حيرت اللغويين والتحويين والمفسرين على حدّ سواء. ؟  
تناول الخطيب القزويني في كتابه «الإيضاح» قضية إن التي يقول البصريون عنها إنها للشرط، والشرط شك، فقال:

«وقد تستعمل «إن» في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه، وكعدم جزم المخاطب كقولك:  
لِمَنْ يُكذِّبُكَ فِيمَا تَخْبِرُ: إن صدقت فقل ماذا تفعل .

وكتنزيهه منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم، كما تقول: لمن يؤذى أباه: إن كان أباك فلا تؤذه.

والتوبيخ على الشرط، وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا يصح الآ لِفَرَضِهِ كما يُفَرَضُ المحال لغرض كقوله تعالى «أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمْ الذَّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ» فيمن قرأ إن بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الإسراف، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء، حقيقى ألا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض.

وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به.

وقوله تعالى: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا» يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها من أصلها.  
ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم، فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً .

وكذلك قوله تعالى: «إن كنتم في ريب من البعث» (٢٩٤)